الصفحات والفصول لتحديد اهمية الوعي ودوره في حياة البشر وفي تحريك المواطنين البسطاء · فالنتائج التي حققتها التجربة الفيتنامية « ما كان ممكنا بلوغها لو ان القرارات كانت فحسب قرارات الفوق وليست قرارات الناس البسطاء » (ص : ١٠) · لان « التطور الفكري للشعوب يتلخص في انتقالها الطويل البطيء المتلاحق من الاسطورة والايديولوجيا الى الحقيقة الواقعية » (ص : ٣٠) · واول مواجهة عقلانية ناجعة للتحدي الاسرائيلي هو انه « ينبغي ان نخرج رؤوسنا من الواقع لا ان نخرج الواقع من رؤوسنا » (ص : ٣٠)·

ويتابع الحافظ تحليله للتجربة الفيتنامية بالمقارنة مع التجربة العربية قائلا ان الماركسية الفيتنامية جاءت « وكأنها مرحلة امتداد ونضج عضويين للحركة القومية الفيتنامية الحديثة » (ص : ٣٢) ورغم فقر الشعب الفيتنامي وتأخره الاقتصادي استطاع « ان يخوض اشكال نضال عصرية وحديثة ضد الاستعمار الفرنسي ثم ضد الامبريالية الاميركية : لقد هيأ مقدمة ثقافية وايديولوجية وسياسية حديثة » (ص : ٣٣) · اما التخلف الفكري والايديولوجي العربي على مستوى حركته القومية او حركاته الماركسية ، فكان سببا في تخلفنا وتقليديتنا في حربنا النظامية وغير النظامية ضد اسرائيل · فالحرب عند الحافظ تقسم الى تقليدية وحديثة وليس الى نظامية وشعبية لان التقسيم الاول جوهري اما الثاني فشكلي (ص : ٣٦) والسلاح عنده ليس معيارا للحداثة او التخلف وانما ايديولوجيا البشر الذين يستخدمون هذا السلاح لان « الايديولوجيا هي التي تقرر نوع الحرب » (ص : ٣٦) ·

الحروب الفيتنامية ودروسها

يحدد ياسين الحافظ مراحل تطور الحركة القومية الفيتنامية بثلاث حقبات تاريخية : الاولى ، مرحلة الحركية القومية التقليدوية ، وتمتد منذ الاحتلال وحتى اواخر القرن التاسع عشر · الثانية ، مرحلة الحركة القومية الحديثة ، وتمتد منذ بدايات هذا القرن حتى العام ١٩٣٠ · الثالثة ، مرحلة الحركة القومية ـ الشيوعية ، وتبدأ بتأسيس الحزب الشيوعي الفيتنامي عام ١٩٣٠ · (ص : ٤٨) ·

ويرى الكاتب ان الحرب ومجابهة القوى الاستعمارية ليست بين طبقتين من مجتمعين فقط وانما مواجهة بين مجتمعين ايضا او كما يقول ماركس « الجانب المثير في الحرب هو انها تمتحن الامة · وكما ان المومياءات تنحل فور تعرضها للهواء ، كذلك تلفظ الحرب حكمها بالموت على جميع المؤسسات الاجتماعية التي لم تعد تملك قوة الحياة » (ص : ٦٣) · لذلك فان « مقاومة هذا الشكل الحديث في التسلط ، كان يتطلب أسلحة ايديولوجية حديثة ، قبل الاسلحة المادية التقنية » (ص : ٦٧) ·

وهكذا يرى الحافظ ان هناك سببان وراء فشل الحركة القومية الفيتنامية التقليدية وظاهرتان ادتا الى انتصار الاستعمار الفرنسي · فالسبب الاول بالنسبة للفشل هو انعدام الديمقراطية اما الثاني فهو انعدام العلم والايديولوجية العقلانية الحديثة (ص : ٦٥ ـ ٦٧) · والظاهرة الاولى بالنسبة لانتصار الاستعمار هي افتقار هذه الحركة التقليدية الى وعي قومي عام اما الظاهرة الثانية فهي عجزها عن حل مشكلة